وما ذكر ملخص نظام التعليم في الولايات المتحدة وغيرها ونظام بعض الحكومات في اوربا مثلهُ تقريباً ويجب ان تسير عليهِ كل الحكومات التي ترغب في حفظ كيانها بين الشعوب المتمدنة فان عظمة الحكومة لا تقوم بكثرة جيوشها وقوة اساطيلها وغناها المادي بل برجالها. وما احسن ما قالهُ افلوطيوس الفيلسوف اليوناني منذ نحو اثني عشر لاهن ازمير وهو «ان مدينتكم هذه اجمل مدن العالم فالبحر ملكها وبنابيع زيطروس في حوزتها لكن المدن تزدان برجالها اكثر مما تزدان بابنيتها وارونقها وصورها الجميلة فالرجال يشاهدون في كل مكان ويحدَّث عنهم في كل زمان فتعظم مدينتهم بقدر ما يزورون من البلدان»

واختم خطبتي بما قلت اولاً وهو ان عظمة هذه البلاد لا تقوم باستثمار مواردها الطبيعية بل بايجاد الوسائل التي بها تطلق القوى العقلية لتظهر وترتقي ويقوم ذلك بالتعليم والتهذيب

سورية ولبنان

(٦) مشاهدها

بلاد الشام كعبة المسيحيين يحجون اليها من اقطار المسكونة من اوربا واميركا وافريقية ومن بعض البلدان الاسيوية. وكعبة الاسرائيليين وارض الموعد التي يرجون ان يعودوا اليها يوماً ما ويُبيدوا مالك اسلافهم وغاية ما يتمناهُ بعضهم ان يدفنوا في ترابها. وفيها الحرم الشريف والمسجد الاقصى وبها يحجُّ الحج الشامي في ذهابهِ لاداء فريضة الحج. فهي مقصد لامم كثيرة تفد اليها سنوياً لغاية دينية. وفيها من المشاهد القديمة الدالة على سابق عمرانها وسالف مجدها ما لا مثيل لهُ في بلاد أُخرى فقلعة بعلبك بل هياكلها من ابدع ما بناهُ الناس في كل زمان ومكان. وآثار تدمر من اعظم آثار المدن القديمة وجامع دمشق يكاد يكون اعظم المساجد الاسلامية وكذا الحرم الشريف والمسجد الاقصى. وقد تيسَّر لي في هذه النوبة مشاهدة حصون عكاء ودير القلعة وقلعة بعلبك والجامع الاموي فوصفتها وصفاً موجزاً في ما يلي

حصون عكَّاء

عكَّاء من اقدم مدن الشام ذكرت في سفر القضاة الاول من اسفار التوراة وعدَّها اليونان من مدن فينيقية وغيَّر اسمها في عهد البطالسة فسميت بطلمايس لكن ما لبث اسمها الجديد ان نسي وعاودت الى اسمها القديم. استولى عليها العرب سنة ٦٣٨ للهجرة وتقلبت عليها الثورات خمسة قرون فكانت تعمُر تارة وتذل اخرى حتى لم يبقَ فيها شيء يذكر من مشاهدها القديمة

غنمت فرصة اقامة الباخرة في حيفا وزرتها لاشاهد حصونها ودار الجزار التي قتل فيها بسراريه. والحصون بعضها اطلال دارسة وبعضها لا يزال على جدته كان مهندسي الاستحكامات اقوه بالامس. وقفت في تلك الاطلال الدوارس واطلقت العنان للخيال وكأني كنت اسمع هزيم المدافع من البر والبحر واري القنابل ترشق من هنا وهنالك فتخرق الحصون او ترتد عنها. وتصيب البوارج او تقع حولها. والجنود يأخذهم الحماس فيبيعون الارواح بيع السماح ولا يجمعون عن تجرع كؤوس الردى. واين الجرحى يفتت الاكباد واوصال الخامية تتطاير من الاجساد. ثم استعر القتال وعطلت القنابل على الحصون هطول السيل الى ان اصابت قنبلة مخازن البارود فضجت الآذان وتطايرت الحجارة والمدافع والاتربة والاشلاء كأن بركانا فغر فاه وقذف بالصخور والحمم فانتصبت عموداً بين الارض والسماء ثم انتشرت وتساقطت حتى غطت الغبراء. هذا ما فعلته قنابل الانكليز والفرنسويين والعثمانيين يوم استخلصت عكاء من الجنود المصرية وردتها الى الدولة العثمانية

وارتد الخيال الى الوراء الى عهد الصليبيين وارتشد قلب الاسد يهاجم هذه المدينة فتصدع رجالها واسوارها حتى بلغ عدد القتلى فيها وحولها مئة الف من النفوس. ولعل كل ذرة من ترابها انحلت من جسم محارب او انفحمت بدمائه

ثم دخلت الدار التي سكنتها الجزار ذلك الطاغية الذي انت بلاد الشام من جوره سنين كثيرة ولم تكن حياة الانسان لديه اثمن من حياة عصفور. والدار يسكنها الآن رئيس الطريقة البابية فهل يحسن فيها قدر ما اساء صاحبها الاول ليدفع الاساءة بالاحسان. وهل تدري النساء الاميركيات اللواتي يزرنه فيها انها شهدت افظع ما ارتكبه انسان بنسائه

الى جانب الدار برج عالٍ تحته ارض فضاء تدل الدلائل كلها على انها الحديقة التي نزل الجزار اليها وقتل سراريه فيها. رأى مرة طاقة من الازهار مع خادم اسمه نعوم ثم رأى تلك الطاقة مع واحدة من السراري فنظر اليها مشمئزاً وقال لها من اين اتيتِ بهذه الازهار بارُليخة فقالت من الجنينة يا مولاي فقال لها باسماً قولي لي الصحيح يا بنتي ولا تخفي عني شيئاً فقد رأيت هذه الازهار مع نعوم الخادم فقولي لي من ارسلها اليكِ فازوحك به. فاغتاظت بكلامه وقالت له ان الخوندار ارسلها اليها. فقام ونزل بها الى الجنينة والبلطة في يده وقبض على شعرها ورماها على الارض وقال لها اخبريني يا لعينة من شاركك من بقية السراري. فجعلت تبكي وتتوسل اليه لكي يرحمها وقالت له انها هي وحدها المذنبة ولا شريك لها في ذنبها فرمى البلطة من يده واستل سيفه وقطع رأسها ثم امر فأتوه بثلاث من السراري غيرها فحز رؤوسهن

يده وتنادي باربعة من الطوّارة وامر باحضار سائر السراري فصاروا ينزلونهنّ الواحدة بعد الاخرى ويذبحونهنّ امامهُ حتى ذبح خمس عشرة من اولئك الحسان اللواتي لا ذنب لهنّ غير جمالهنّ وغيرتهُ العمياء عليهنّ

وبنى الجزار في عكاء جامعاً وحماماً نهب لاجلهما انقاض المباني القديمة في قيصرية وصور وعسقلان وسخّر الناس في بنائهما ونقل الحجارة والاعمدة اليهما وكان يذهب بنفسهِ عصر كل نهار لمشارفة العمل فسير الانكشارية في مقدمة الموكب وهم بالسلاح الكامل ووراءهم النفكجية على الاقدام ويد كلٍّ منهم سوط من جلود الثعبان ثم الجلاد ويده البلطة التي يقطع بها الرؤوس ووراءهُ الجزار على جواده وخلفهُ جمهور كبير من الخصيان والمماليك والشيقجية والخدم والحشم وكلهم طوع امرهِ ورهن اشارتهِ ويُبسط لهُ بساط في مكان مرتفع يشرف على البناء فيجلس عليهِ والشبق في يده وهو يجيل طرفهُ في ما امامهُ وعيناهُ كعيني النسر حتى اذا رأى احداً واقفاً عن العمل امر بقطع رأسهِ . وهنالك كان يمتزج تنهد العمّال من التعب بأنينهم من الالم

لم استطع رؤية الحمام لاني دخلت عكاء بعد الظهر وهو الوقت المخصص لاستحمام النساء لكنني رأيت الجامع وحرمهُ لا يسمحون لاحد ان يدخلهُ وحذاؤهُ في رجلهِ ولو لبس فوقهُ خفّاً من عندهم كما في القاهرة ودمشق كأنهم يحسبونهُ اطهر من كل جامع سواهُ لان يد الجزار بنتهُ وجبلت طينهُ بدماء العمال . وهو قائم على اعمدة دقيقة من المرمر المجزّع ولهُ محراب من الرخام لكنني لم ارَ فيهِ جمالاً يستحق الذكر ولا نخامةً تقابل نخامة الجامع الاموي ولعلّ انفصال بانيهِ السود سترت جمالهُ عن عينيّ . ومهما يكن من ذلك فعكاء تستحق ان يراها كل من يقصد بلاد الشام اذا تيسّر لهُ ذلك والطريق اليها من حيفا سهل على شاطئ البحر فيسار اليها بالمركبات العادية وبمركبات الاتومبوس

دير القلعة

المشاهد القديمة الباقية في لبنان كثيرة ودير القلعة واحد منها وهو على اكمة تشرف على بحر الروم وساحل بيروت وترى منها سفوح لبنان وما رصعتها بهِ يد الطبيعة من الحراج والبياض ويد الصناعة من المباني والبساتين وطرق المركبات تنساب فيها كبطون الحيات وقد أبدلت بها الطرق القديمة التي كانت مجامع لحجارة الحقول ومجاري لمياه السيول . وفوقها الطودان الكبيران صنين والكتيسة يناطحان السحاب وكأنهما وضعا في الارض اوتاداً لكي لا تميد بسكانها ومركبات سكة الحديد تسير الهوينا سير خود مكسال بل تدبّ دبيب الديدان على الرمال

قصدت دير القلعة من ظهور الشويرفة وصلت بيت مري وجدت ان اليوم عيد قديسها مار سابسين والجوع مزدحمة في كنيسته وامامها والمركبات في انتظارهم وكلهم من اهالي لبنان والمصطافين رجالاً ونساء وصبياناً وبنات بوجوه بائنة وملابس فاخرة ماشون متخاصرين او جالسون في افياء الاشجار يمنون ويطربون . فتركنا المركبة هناك لان الطريق الى الدير لا تصلح لسير المركبات ومشيت بين اشجار السنديان وبساتين التوت الى ان بلغت قمة الاكمة حيث الدير وبقايا الهيكل القديم

كان هذا الهيكل معبداً للفينيقيين ويظهر من كتابات يونانية وجدت على حجارته انهُ كان مقاماً لبعل مركوس اي اله الالعاب او اله المواكب وقد بقي منهُ اساسهُ والمدماك الذي فوقهُ طولهُ ١٠٦ اقدام وعرضهُ ٥٤ قدماً وحجارتهُ صلبة كبيرة طول الحجر منها نحو ١٤ قدماً وعرضهُ نحو خمس اقدام او اكثر وكان امامهُ رواق قائم على ثمانية اعمدة كبيرة قطر العمود منها نحو خمس اقدام ولم يزل اربعة منها قائمة لكنها متآكلة من العواصف والامطار . وقد بنيت كنيسة على الجانب الغربي من هذا الهيكل لتدل على النسبة بين قوة القدماء وضعف ابنائهم . وفي مباني الدير المختلفة كثير من الحجارة المنتقلة من الهيكل وعلى بعضها كتابات قديمة كتبت لتدل على نذور الناذرين وهبات الواهبين . وبين الحجارة قطع من تماثيل قديمة وجدت بين انقاض الهيكل . وحبذا لو رأت الطائفة المارونية الكريمة ما يراهُ عنايته الآثار وهو ان الاحتفاظ بآثار الآباء والاجداد ادعى للفخر من المباني التي بنيت منها وعلى اطلالها . فتتزع كل ما يسهل نزعهُ من المباني الجديدة وتجمع منهُ الحجارة القديمة التي فيها شيء من الدلالة على الهيكل القديم وتاريخهِ . والى جانب الهيكل صخور صلبة كالمرمر الجزع واذا ثبت بالتنقيب انها كثيرة ففيها ثروة وافرة

قلعة بعلبك

زرت بعلبك ثلاثاً قبل الآن ووصفتها في المقتطف بالاسهاب ولكن كان ذلك قبل ان عنيت الحكومة الالمانية برفع الانقاض المتراكمة فيها واظهار ما كانت عليهِ قبل ان تخربت فلم ارَ لي بدّاً من زيارتها الآن ومشاهدة ما اظهرتهُ يد التنقيب فيها ولو ان اليد التي اظهرت رسومها استولت على الجانب الاكبر من دفائنها ونقلتهُ الى بلاد الالمان . ولعلها احسنت صنعاً بما فعلت زمن الاستبداد والفوضى لئلا تبعثر تلك الكنوز وتتلف . وعساها تنصف علم الآثار وتراعي حقوق الامم فترد ما اخذتهُ الى مكانهِ بعد استتباب الامن في البلاد والاحتفاظ بآثارها

ذهبت الى بعلبك هذه النوبة بسكة الحديد وقد اتيتها راكباً في النوبات الثلاث

الاولى . ولم تسمح لي الفرصة الآن ان اقيم فيها اكثر من بضع ساعات وتفضّل الصديق الكريم ميخائيل افندي موسى الروف البعلبكي فرافقني الى القلعة وشرح لي كل ما كشفتهُ لجنة التنقيب فيها وهو مؤلف كتاب تاريخ بعلبك وامين التحف التي فيها

والقلعة هيكلان قديمان اكبرهما هيكل المشتري (جوبتر) كبير الالهة ولعل دارهُ كانت هيكلاً لجميع الالهة . واصغرهما هيكل باخوس الهُ الخمر على المرجح . فلما تنصّر سكان بعلبك في اوائل العصر المسيحي بنوا كنيسة في دار الهيكل الاكبر ثم جاءت الدول العربية فجعلت البناء كلهُ قلعةً واضافت اليها اضافات كثيرة لتزيد حصانة كما سيجيء

وقد رأيت ان الخّص وصف هذين الهيكلين الآن من كتاب الروف افندي لانهُ وافى بالمراد ولان مؤلفهُ قال لي ان المقتطف هو الذي رغّبهُ اولاً في درس آثار بعلبك ونقل عنهُ رسماً من الرسمين التاليين وهو رسم ارض الهيكلين كما كانا حينما تمّ بناؤهما . اما الرسم الثاني فنشر اولاً في المجلد السابع والعشرين من المقتطف على اثر تنقيب اللجنة الالمانية وقبل ان يتم عملها ونشر خلاصتهُ ولذلك لا يخلو من الخطإ والشكل الاول اصح منهُ

﴿ الرواق المقدّم عند الحرف ا ﴾ وهو مدخل الهيكل القديم يعلو عن سطح الارض ثمانية امتار فيصعد اليهِ بدرج كما ترى في الشكل الاول . طول هذا الرواق ٥٠ متراً وعرضهُ ١١ متراً وفي طرفيهِ غرفتان مزدانتان بنقوش كثيرة ومواقف للاصنام . وقد بنى العرب فوقهما مرابي للسهام . وكان في مقدم الرواق اثنا عشر عموداً من الحجر السماقي (الغرانيت) وامامها درج طولهُ خمسون متراً لهُ ثلاث مساطب والظاهر ان العرب نزعوا هذه الاعمدة لما حصنوا الهيكل وجعلوهُ قلعةً وذكوا الدرج الى اساسهِ وبنوا بحجارتهِ جداراً كبيراً فوق قواعد الاعمدة . ولقد هدم الالمان الآن القسم الاكبر من هذا الجدار ليظهر الرواق بمظهرهِ القديم . وهناك كتابة لاتينية مكررة على ثلاث قواعد من قواعد الاعمدة يقال فيها ان احد قواد الامبراطور انطونينوس بيوس (كراكلا) ذهّب تاجي العمودين المحاسبين على نفقتهِ وفاء بنذر نذرهُ لآلهة هليوبوليس (اي بعلبك) المشتري والزهرة وعطارد

وكان الجدار الداخلي من الرواق مزدانًا بنقوش ومواقف للاصنام وقد ازالها العرب لئلاّ يتسلق عليها العدو . وكان في هذا الجدار ثلاثة ابواب اكبرها اوسطها علوهُ عشرة امتار وعرضهُ سبعة امتار وربع وسمك جدار الابواب ستة امتار وقد سدّ العرب الباب الاوسط والباب الايمن ففتح الالمان الباب الاوسط . وبين الابواب في قلب الحائط درجان لولبيان يصعد بهما الى سقف الرواق والبهو

﴿ الهيو المقدّس عند الحرف ب ﴾ وهو دار مسدّسة قطرها خمسون متراً ما عدا الابنية التي تحيط بها وهي غرف او معابد كان امامها اعمدة من الغرانيت تشابهها اعمدة اخرى والرواق بينها كان مسقوفاً يمرّ الناس تحته في دخولهم الى الهيكل

﴿ الهيو الكبير او هيكل كل الالهة عند الحرف ج ﴾ هو بناء مربع يحيط به اثنا عشر معبداً مفتوحة الواجهات وامامها عمد من الغرانيت وفي كل معبد منها صفان من مواقف الاصنام الواحد فوق الآخر . وكان امام المعابد كلها على الجهات الثلاث من الهيو رواق كبير على اربعة وثمانين عموداً من الغرانيت طول كل عمود منها ثمانية امتار وقطره نحو تسعين سنتمتراً وعلو قاعدته وتاجه متر و ٨ سنتمتراً وفوقه افريز وطنف بديعا النقش والزخرفة علوهما متر و ٨٠ سنتمتراً ايضاً والرواق بين هذه الاعمدة والمعابد التي وراءها كان مسقوفاً سقفاً مسنماً اما سائر الهيو فكان مكشوفاً . ولم يبقَ من هذه الاعمدة غير قواعدها وعمود صحيح ملقىً على الارض وبعض القطع . وكان مذبح المحرقات في وسط هذا الهيو وعلى جانبيه حوضان طويلان للماء . والمظنون ان هذا الهيو كان بمثابة هيكل لجميع الالهة وكان فيه ٣٦٠ صنماً على عدد ايام السنة

وقد بنى الملك تيودوسيوس كنيسة في وسط هذا الهيو من انقاض الهيكل الكبير لان الملك قسطنطين كان قد هدم جانباً كبيراً منهُ والتي انقاضهُ في الهيو وترى رسم الكنيسة في الشكل الثاني

﴿ هيكل جوبيتر (المشتري) حيث الحرف و ﴾ وهو قائم على دكة تعلو عن ارض المدينة عشرين متراً وعن ارض الهيو الذي امامهُ ثمانية امتار . طولهُ ٨٧ متراً ونصف متر وعرضهُ ٤٧ متراً ونصف متر وكان يحيط به اربعة وخمسون عموداً ارتفاع كلٍّ منها عشرون متراً وقطرهُ متران و ٢٣ سنتمتراً وداخل العشرة الاعمدة الامامية صف آخر من الاعمدة كما ترى في الشكل الاول ولم يبقَ قائماً من اعمدة هذا الهيكل الا ستة تراها مصورة في الشكل الثالث وقد كانت تسعة قبل زلزلة سنة ١٧٥٩

ويحيط بهذا الهيكل من جهاته الثلاث رصيف ضخم الحجارة طول بعض حجارته عشرون متراً حيث الحرف و والظاهر انهُ لم يتم لان حجر الحبلى الباقي في مقلعه الى الآن كان معدّاً لهُ . ويراد بهذا الرصيف ان يكون دكة حول الهيكل وسوراً لهُ

﴿ الهيكل الصغير او هيكل باخوس حيث الحرف ح ﴾ وهو مبنيٌّ على دكة طولها ٦٨ متراً وعرضها ٣٤ متراً وارتفاعها نحو خمسة امتار وكان يحيط به خمسون عموداً وكلها من الشق

الكورنثي كسائر اعمدة الهيكل وعلو العمود منها عدا قاعدته ١٨ متراً و ٢٠ سنتيمتراً وما بين الاعمدة والهيكل سقوف بحجارة كبيرة منقوشة ابدع نقش. وقد بقي في الجهة الشمالية تسعة اعمدة من الخمسة عشر الاصلية ومن التسعة التي كانت في الجهة الغربية ثلاثة ومن الخمسة عشر التي كانت في الجهة الجنوبية عمود واحد وهو مستند الى جدار الهيكل كانهُ يشكو ما فعلت بهِ يد الدهر بل يد الخلق الذين كسروا هذه الاعمدة البديعة لينزعوا قطعاً من الحديد تصل بين اجزائها

وكان امام هذا الهيكل من الشرق درج كبير بثلاث مصاطب عرضهُ ٣٤ متراً يصعد منهُ الى فسحة امام الهيكل كان فيها صفان من الاعمدة المضلعة ويعدهما عمودان في كل جهة

وطول الهيكل من الداخل ٣٥ متراً وعرضهُ ٢٠ متراً ولصف متر وفي جدرانهِ اعمدة بارزة مضلعة ذات تيجان كورنثية كما ترى في الشكل الرابع وبين كل عمودين موقفا صغيران احدهما فوق الآخر وقد وضع الآن بين العمودين الاوسطين في الجهة الشمالية بلاطة عليها كتابة تذكاراً لامبراطور المانيا كما ترى في الشكل الرابع . وثلث الهيكل الغربي كان مقدساً تعلو ارضهُ اربعة امتار عن ارض سائر الهيكل يصعد اليها بدرج . وباب هذا الهيكل اجمل ما صنعهُ المتقدمون وابقوهُ للمتأخرين كما ترى في رسم قطعة منهُ في الشكل الخامس . وفي الجدار الى جانبيهِ درجان لولبيان يصعد بهما الى سطح الهيكل وكان الهيكل مسقوفاً سقفاً مسنماً على رفائد من الخشب

وتحت هذين الهيكلين والبهوين اقبية فسيحة مبنية بحجارة كبيرة ضخمة مزدانة سقوفها بالنقوش البديعة

وقد اظهر النقب آثار الكنيسة المسيحية التي بنيت في البهو الكبير كما ترى في الشكل الثاني ثم ظهر فيها محراب اخر في الجهة الشرقية لم يوضع في الشكل . اما مباني العرب فاحسنها البرج المربع الذي امام الهيكل الصغير واكثرها من عهد صلاح الدين وما بعدهُ . وكان داخل القلعة قرية حقيرة البناء ازيلت الآن . وعلى مئة وخمسين متراً من القلعة هيكل للزهرة تراهُ صغيراً جداً في جنب هيكل المشتري وهيكل باخوس ولكنهُ لا يقل عنهما جمالاً وزخرفاً وهو مستدير يحيط بهِ ستة اعمدة على اطراف خمس اقواس كما ترى في رسمهِ في الشكل السادس طول كل عمود منها ثمانية امتار وهو قطعة واحدة من المرمر السماقي ولهُ تاج كورنثي بديع وقد بقي اربعة من هذه الاعمدة . وامام باب الهيكل درج بثلاث مصاطب ورواق على اربعة اعمدة . وكان الهيكل مسقوفاً بقبة من الحجارة ومن المحتمل ان تماثل

الزهرة كان منصرباً على دكة في وسطه يحولها على مواقف في جدرانه تماثيل جواريها

ومن شاء زيادة التفصيل عن هذه المباني كلها قديمها وحديثها فعليه بكتاب تماثيل النسوي الوف المشار اليه. ولكن ليس السمع كالعيان ومهما كتب الكاتب وتفنن الواصف يفنى الزمان وفي هذه القلعة ما لم يوصف . هناك العظمة هناك المهارة هناك الجمال هناك دلائل التعبُّد والتقوى . نفوس تتطلع الى ما وراء العالم المنظور فتشعر بقوة مسلطة على شؤون الناس ومديرة لامور العالم فتترضاها بكل ما في طاقتها شكراً لاحسان او استجلاباً لرضاء . اين تلك النفوس الآن وكيف نحتم انها كانت على ضلال وغايتها تجيد القوة الخالقة واسترضاؤها معا وضعت لها من الاسماء . وكيف تحمل اتلاف ما ابتدعتْ العقول وابدعتهُ الانامل من الصور والنقوش وما بلغت اليهِ من المهارة والمقدرة في جر الاثقال ورفعها . تصوَّر حجراً ثقلهُ مئة وستون طناً يرفع في الجو ويوضع على رأس عمود قائم علوهُ عشرون متراً بضبط واحكام لا يفوقها ضبط واحكام ثم ينقش نقشاً غائراً وبارزاً بتماثيل ثيران واسود واوراق وازهار وكلها غاية في الدقة والاتساق فكيف رفع المهندسون تلك الحجارة واين جلس النقاشون لما نقشوها وما هو الدافع النفسي الذي دفع الكهان والعمال والحكام والقواد الى تشييد تلك الهياكل وزخرفتها وتذهيب اعمدتها . قد يكون الدافع لم طلب المعيشة او التزلف الى الملوك والعظماء ولكن الوالدة التي كانت تنذر النذر لوقاية ولدها الذاهب الى القتال ثم توفي بنذرها حين يعود اليها سالماً لم يكن تفعل ذلك الاَّ عن تعبُّد صحيح وقس عليها اكثر المتعبدين والمتعبدات . وقد اوحت هذه التصورات الى اليراع فكتب الابيات التالية

يا هيكلاً روح التديُّن مثلتْ فيهِ المهابة والجلالة والولا
كم شاكرٍ نعما وفيتَ بشكره او خائفٍ نقما عليك توكلا
جهل الاولى جعلوك قلعة حربهم فتصدَّعت منك المرائر والكلى
حرب تهدِّم ما بناهُ تديُّنٌ وتديُّن لحرب بني هيكلا
فعلى التديُّن والحروب بقيت للا — نسان اكبر شاهديهِ واعدلا

وان لم يكن في بلاد الشام غير قلعة بعلبك فهي وحدها جديرة بان تحمل كل احد على زيارة تلك البلاد لمشاهدتها فعسى ان لا تفوت رؤيتها احداً من قارئي هذه السطور

اما جامع دمشق المشهور بالجامع الاموي فسأوفي الكلام على تاريخهِ وما رأيتهُ فيهِ من بديع الصناعة المستقية في جزء تالٍ